الضوئي ملايينُ ملايينٍ من الكائنات الصغرى تعلن في ايماضة اللحظة حريَّة الكلّ في الهواء الكلّي اللاّحدود له.

-٥-

الهواء الآخر، بل هو الهواء الآتي الى بدئه تتوحد به الكائنات يتوحَّد به الرجلُ، فيحلِّقان معاً الى أشواقهما النائية بأجنحة وأصابع وحدقات راعشة. الهواء الآخر يتعدَّد والرجلُ به يتكاثر، وزهرةُ الرّمان تتوحد مع بلازما دمها مع لونها اللهب تحت قمرٍ ذائب وعواصف بمساراتٍ شَرودٍ ورياح سموم راكضة. الرجل يتصاعد في الهواء، يتعالى من كل أسراره ويتبخر من المدن الأنهار الحافلات الدبابات الناعسة والليل والثلوج واللهب وسكون المتاحف. الرجل يتصاعد في افتتان أخضر، ويتعالى في الفضاءات وضجة الموسيقى والمقاهي الحمراء والفلسفات الموّارة والجسور اللولبية والبرازخ، يتصاعد محمَّلاً بالزمن في هجرة توقظ الظمأ وتملأ الحدقات بالموميض، يتصاعد متماوجاً في هجرته بين الصمت ومعتزلات السكون وهواء الأقفاص، والمرأة زهرة نورمو الرمان تنام في نشرات الأخبار والطوابير المجوَّعة تضحك في اكتمال البذور، وهو يتصاعد من السرير من جسده من صوته من عزلته من أشواقه الملجمة، والمرأة تركض في إعصار أزرق مجنَّحٍ بالمناجل والظلال ورعشاتِ الأرجوان.

ينهمرون، الكلّ ينهمر مرةً أخرى ويهطل في الهواء الآخر، الكلّ يركض في الهواء إلى الأرض: الأصوات والصمت والأشواق والعزلات والحب المقنّع وسفن الفضاء المهجورة والكلمات والنبال والريش وقصائد البجع الحزين. الكل ينهمر في رفقة النار والثلوج واللوم والترقب. الكل ينهمر في الهواء الآخر، وهواءُ الأقفاص يتلوّث يسودّ بنفايات الرؤوس والأسماء وعلامات الماضي وإشارات التفتّح ونذر الذهول.

المرأة الرّمان نورمو تضحك في بهائها المطريّ في الهطول الكبير، وتطوف ملكوتَ الهواء والتراب معاً. والجسد مبثوثٌ في زهرة الهندباء وزرقتها في سرب الغرانق، والزعفران في الأمكنة التي تنبت عشبة الشغف. الجسد كأنه الماء كأنه المحار كأنه الجبل

غُرْفَةٌ لِذاكَ الشَّيءْ

عدنان حافظ جابر

حَتى الآنْ
لَمْ أَجِدْ سَكَناً مُريحاً
أَفْضَلَ مِنَ السِجْنْ
كانَ إيجارُ الزنزانةِ رَخيصاً
والطعامُ مجّاناً

حتى الآنْ
لَمْ أَجِدْ أحلاماً بأجنحةٍ كبيرهْ
ضِحْكاً مِنَ القلبْ
رفاقاً بلا زَيْفْ
كَما وجدْتُ في السجنْ

الآنْ
صارتِ الحياةُ سِجْناً
ولقمةُ العيشِ عَدُوّاً
لأجْلِ هذهِ اللقمهْ
نُجرِّبُ مِهناً جديدهْ
ـ غيرَ مهنةِ النضالْ ـ
لأجلِ حضرتِها
نَبيعُ أغراضَ البيتِ وَنَرْحَلْ
نَذوقُ القهرَ
أَشكالاً وألوانا

الآنْ
بعدَ أنْ طَوى «القادةُ» مَدافعَهُمْ
واشتروا مستقبلاً لأولادهمْ

إلى أين نُوَجِّهُ مدفعَ الشتائِمْ؟
إلى الدنيا العجبْ
أَمْ إلى الذي كانَ السَبَبْ؟!

يا الله!
كَمْ كانت الزنزانةُ حنونةْ!
وكَمْ أتمنى
في المنافي الواسعةْ
أن يكونَ لي غرفةْ
أفْعلُ فيها ذاك الشيءْ
حتىّ لا أضطرَّ إلى فِعلهِ:
في شارعٍ
في حانةْ
على الشرفةِ، والكلُّ نيامٌ
ـ سوى أنا وحُزني ـ

أوْ أنْ أفعَلَهُ على ندى الصباحْ
والعصافيرُ تملأُ السماءَ بالغناءْ
غُرفةٌ لي وحدي
أفعلُ فيها ذاكَ الشيءْ
دونَ أنْ يراني أحَدْ:
غُرفةٌ للبكاء.

بلغاريا

الذي لا يدري أنه جبل كأنه الهواء الآخر، والهواء الآخر والرجل يتصاعدان ثم يحطّان على المفازات، والكلمات تسطع من ورائهن من ملكوت الرمان تهب من شهب الجلنار، يحطان في الندى على وعورة المراعي ومنحدرات الصخر الوردي والسهول المحصودة والدبابات المصهورة والقطارات الجواميس العابرة السهول، يحطّان على الصباح بينما الأبل القوافلُ تجتر أغلفة الطلقات المشعّة وتنام في لغم ساخن.

شجرة الرمّان تهبُ ظلّها للهواء، والمرأة تغطي التاريخ بدموع وكلمات لا لتمحوه بل لتجلوه: تعلنه وتصنع له الكلمة الفضّاحة.

٤ـ فأس

تعمل الفأس داخل الزمن وخارج الهواء وتأخذ بأيدينا إلى عزلة المتربصين.

الفأس قطفناها ثمرةً من كهوف الغروب، فدخلت دائرة الحصى والشوك التي يقف في مركزها رجلٌ بملابس ميدان ممزقةٍ ومعه غزال وكرةٌ معدنٍ خضراءُ لامعةٌ. وبدأت الفأسُ تعمل وتقرن النجوم بعتمة الخنادق، ثم تحولت من مجرد كلمة الى مهابة ملكة تحكم الزمن بعد أن لعبت طويلاً بالتراب والحجر والدخان والجذور والعظام وصارت عرشاً مسوَّراً باللعنات، وأصبحت نهاية كل حدث وخاتمة كلِّ مدينة.

أسمعها تعنّفنا وتمنح أرواحنا فكرتها عنّا، وتقول للغزال:

ـ نصف الروح الإنسانية يشبه البكاء، أتعرف ما الذي يشبهني أنا؟

ـ أنت تشبهين الموت.

ـ بل أشبه الحياة التي تشبع القطيع الجائع، والنهرَ الذي له مستقبل الرمل، والأرضَ التي لها مستقبلُ زلزالٍ.

وعندما تعمل الفأس تصعد بنا الدموع الى الأعالي وتصير الروح بكاء. لكنّها، حتى يتم الهطول